مشاركة في الملتقى الوطني حول: " التعليم الديني وصلته بالأمن المجتمعي في الجزائر"، " يوم 06 مارس 2023، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة، كلية أصول الدين

Participation in the national conference on: "Religious Education and Its Connection to Community Security in Algeria», on March 6, 2023, Emir Abdelkader University of Islamic Sciences – Constantine, Faculty of Fundamentals of Religion.

**عنوان المداخلة:**

# تمظهورات الأمن داخل البناء المعرفي والمنهجي للمنظومة السنوسية – دراسة معرفية –

**Title of the intervention:**

# Manifestations of Security within the Epistemological and Methodological Framework of the Senussi System - A Cognitive Study -

**الدكتورة أحلام بلعطار**

**الدرجة العلمية: أستاذ محاضر -أ-**

**جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**

**Doctor : Ahlem Belattar**

**Academic Rank : associate professor**

**Emir Abdelkader University of Islamic Sciences**

**ملخص:**

يسعى هذا البحث إلى استعراض فكر الإمام السنوسي الذي يمثل حجر الزاوية في بناء منظومة عقدية تهدف إلى تحقيق الأمن الفكري والروحي للمجتمع الإسلامي. من خلال مؤلفاته ومنهجه العلمي، بذل الإمام السنوسي جهده في تبسيط المفاهيم العقدية وتقريبها لجميع فئات المجتمع، مع التركيز على تعزيز اليقين الديني وحماية الأفراد من الشبهات الفكرية. كما سعى إلى محاربة التقليد الفكري والجمود، ودافع عن تجديد الفكر العقدي بأسلوب عقلي مستند إلى الأدلة. من خلال منظومته العقدية، جمع بين التصوف وعلم الكلام، مما ساهم في تعزيز الأمن الفكري والتأكيد على أن التوحيد هو أساس العقيدة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الأمن – المعرفة – المنهج- السنوسي – العقيدة – التصوف.

**Abstract:**

This research examines the thought of Imam al-Sanusi, who developed a doctrinal system focused on ensuring intellectual and spiritual security in the Muslim community. Through his writings and approach, he simplified doctrinal concepts, emphasizing religious certainty and protecting individuals from doubts. Al-Sanusi opposed intellectual stagnation and blind imitation, advocating for doctrinal renewal based on evidence. His integration of Sufism and Islamic theology (kalam) contributed to enhancing intellectual security, emphasizing Tawhid (Oneness of God) as the core of Islamic belief.

**Keywords**: Security – Knowledge – Methodology – al-Sanusi – Doctrine – Sufism

## مقدمة

يشكل الأمن داخل البناء المعرفي والمنهجي الفكري منظومة شاملة تهدف إلى حماية المعرفة والفكر من التشويه والانحراف، متجاوزا الحماية السطحية إلى دور استراتيجي عميق يعزز استقرار المنظومة الفكرية ويحميها من محاولات التزييف والتضليل. ويرتكز هذا الأمن على أبعاد متعددة ومترابطة، أبرزها البعد الإبستمولوجي الذي يهتم بضبط مصادر المعرفة وتقييم موثوقية مرجعياتها، والبعد المنهجي الذي يعنى بآليات إنتاج المعرفة وتداولها وفق أسس علمية دقيقة، مما يسهم في تحصين البناء الفكري وضمان استمراريته وفاعليته.

وتعد دراسة التمظهورات المعرفية للأمن في الفكر الإسلامي من المباحث المنهجية الدقيقة التي تسلط الضوء على عمق الرؤى الفكرية للعلماء المسلمين في الحفاظ على سلامة المعرفة وصيانتها من التزييف والتضليل. وفي هذا السياق يبرز البحث في فكر محمد بن يوسف السنوسي كمحاولة علمية رصينة لاستجلاء مفاهيم الأمن المعرفي وتجلياته في البناء الفكري والمنهجي، حيث سعى هذا العالم الجزائري البارز إلى تأسيس منظومة معرفية متكاملة تجمع بين الأصول العلمية والروحية، مستهدفا ترسيخ الأمن والاستقرار الفكري في مجتمع المغرب الأوسط آنذاك. فقد شكل السنوسي بنية متميزة في بناء استراتيجية معرفية محصنة، تهدف إلى مواجهة التحديات الفكرية والثقافية من خلال منهج علمي دقيق يجمع بين أصالة التراث وآليات التجديد، معتمدا على المرجعية الأشعرية والصوفية والفقهية كركيزة أساسية للدفاع عن الهوية المعرفية والفكرية.

وتتأسس الإشكالية البحثية في دراسة التمظهورات المعرفية والمنهجية للأمن في فكر محمد بن يوسف السنوسي على التساؤل الجوهري: كيف أسهمت المرجعيات المعرفية والمنهجية (الأشعرية، الصوفية، الفقهية) في بناء منظومة الأمن وحماية الفكر من الاختراق والتشويه؟ ولتحقيق ذلك، يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى رصد وتحليل الآليات المنهجية التي وظفها السنوسي في تحصين المعرفة، من خلال التأصيل العلمي، ونقد المصادر، والموازنة بين النقل والعقل، مع مراعاة السياق التاريخي والحضاري للمغرب الأوسط، وذلك بغية الكشف عن استراتيجيات الدفاع المعرفي وآليات مقاومة الانحرافات الفكرية في منظومة السنوسي الفكرية.

## 1 – وقفة مع المفاهيم المحورية للبحث

### 1-1- مفهوم الأمن لغة واصطلاحا

**أولا: مفهوم الأمن لغة:**

ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: " أمن الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق "[1]، وبهذا ينحصر مفهوم الأمن في اللغة في معنيين وهما:

-الأول: الأمن الذي هو ضد الخوف أمن وأمين : بمعنى واحد [2] الأمنة من الأمن والأمان إعطاء الأمنة، رجل أمان، إذا كان أمينا، وبيت آمِنْ ذو أمن [3] ، وقال ابن منظور: الأمان والأمانة بمعنى وقد أمنت فأنا أمن وآمنت غيري من الأمن والأمان والأمن ضد الخوف والأمانة ضد الخيانة[4].

-الثاني: التصديق ويندرج تحته الطمأنينة والثقة: آمن يؤمن إيمانا؛ فهو مؤمن [5]، والإيمان ضد الكفر والإيمان بمعنى التصديق ضده التكذيب[6].

وبهذا يتضح لنا أن الأمن لغة يعبر عن حالة من سكون القلب وراحة النفس تتحقق بزوال الخوف والخيانة، وهو يشمل معنيين رئيسيين: الأول يرتبط بالأمان ضد الخوف، مما يمنح الطمأنينة والاستقرار النفسي، والثاني يرتبط بالتصديق والثقة، مما يعزز الإيمان والاطمئنان. ومن هذا المنطلق، يظهر أن الأمن ليس مجرد غياب للخوف، بل هو مفهوم شامل يلامس الجوانب النفسية والمعنوية والأخلاقية، حيث ترتبط الطمأنينة بالثقة المتبادلة، ويعزز الاستقرار القيمي والاجتماعي تحقيق الأمانة كقيمة مضادة للخيانة، ما يؤدي إلى بيئة مستقرة ومطمئنة على المستويين الفردي والجماعي.

**ثانيا: مفهوم الأمن اصطلاحا**

تتفق معظم الأدبيات التي قامت بتعريف مفهوم الأمن على أن المفهوم يشير عموما إلى تحقيق حالة من انعدام الشعور بالخوف، وإحلال شعور الأمان ببعديه النفسي والجسدي محل الشعور بالخوف، والشعور

---

1 - ابن فارس: معجم مقاييس للغة، 133/1.

2 - الازهري: تهذيب اللغة، 367/15.

3 - ابن فارس: المصدر نفسه، 134/1.

4 - ابن منظور: لسان العرب، 13/ 21.

5 - الازهري: تهذيب اللغة، 15/ 370.

6 - ابن منظور: المصدر نفسه، 21/13.

بالأمان قيمة إنسانية كونية مرغوبة لا تقتصر على فئة اجتماعية معينة ، ونظرا لصعوبة تحقيق الأمان الكامل، فقد أصبح يُنظر للأمن على أنه مسألة نسبية مرهونة بالسعي لتعزيز أفضل الشروط لتوافره.[1] وبناء عليه، يشير الأمن اصطلاحا إلى حالة من انعدام الخوف واستبداله بشعور الأمان على المستويين النفسي والجسدي، وهو قيمة إنسانية كونية يتطلع إليها جميع الأفراد دون استثناء. وعلى الرغم من صعوبة تحقيق الأمان الكامل والمطلق، فإن الأمن يعتبر مسألة نسبية تعتمد على السعي المستمر لتوفير أفضل الظروف والشروط التي تعزز هذا الشعور بالطمأنينة. ويتجلى الأمن في بعدين أساسيين: الأول يتعلق بالجانب النفسي الذي يعكس الراحة والاطمئنان الداخلي، والثاني بالجانب الجسدي الذي يتعلق بحماية الأفراد من التهديدات والمخاطر. وبالتالي، يعد الأمن حالة مرهونة بالجهود المبذولة لتحسين الظروف التي تضمن تحقيق الأمان والاستقرار على كافة الأصعدة.

### 1-2- المنظومات المعرفية في فكر السنوسي

تتميز المنظومات العقائدية للسنوسي بثلاث مستويات معرفية متكاملة تعرف بالعقائد السنوسية: العقيدة الصغرى، والعقيدة الوسطى، والعقيدة الكبرى. وتحتل العقيدة الصغرى مكانة مركزية في هذه المنظومة، حيث اشتهرت بـ"أم البراهين" نظرا لوضوحها واختصارها الدقيق.

رغم أهمية العقيدة الصغرى، فإن هذا لا يقلل من قيمة العقيدتين الأخريين، بل إن الدارسين أولوا اهتماما بارزا بها، مع التركيز الأكبر على التدريس والشرح للعقيدة الصغرى، تليها العقيدة الوسطى ثم الكبرى. وتشكل هذه المنظومات الثلاث بنية معرفية متدرجة ومترابطة في الفكر السنوسي، تعكس عمق رؤيته العقائدية ومنهجه في بناء المعرفة الإسلامية. [2]

ويمثل التصوف والفقه المالكي في المنظومة السنوسية المعرفية بعدين متكاملين للتأصيل العلمي والروحي، حيث يوظف التصوف كمنهج للتزكية الروحية والسلوك الأخلاقي المعتدل، مؤسسا لرؤية صوفية عقلانية بعيدة عن الغلو والانحراف، بينما يعتمد الفقه المالكي كمرجعية تشريعية وأصولية تضبط الممارسة العملية. فالسنوسي يرى في هذين البعدين - إلى جانب العقيدة الأشعرية - منظومة معرفية متكاملة تهدف

---

1 - . خضير عباس جري وآخرون: الأمن الفكري - مفاهيم نظرية ودراسات تطبيقية، ض23.

2 - يوسف حنانة، تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 175/176. ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 93/1.،

إلى تحصين الفكر الإسلامي وحمايته من الاختراقات الفكرية، مع الحفاظ على التوازن بين العقل والنقل، والظاهر والباطن، مشكلا بذلك إطارا متميزا في الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

**2- تمظهورات الأمن والبناء المعرفي**

تمثل دور السنوسي في بناء منظومته العقدية من خلال تكريس مفهوم الأمن بشكله الواسع عبر أمرين رئيسيين: الأول هو بناء عقيدة أشعرية يقينية، ومن ثم حمايتها من الانتهاك. أما عملية البناء، فقد ارتكزت على تعزيز مصادر العقيدة الأساسية، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، في نفوس أفراد المجتمع. وفي نفس الوقت، عمل على منع الاطلاع على مصادر غيرها لضمان الحفاظ على سلامة البناء الفكري لأفراد المجتمع. وتعد هذه الخطوة مقدمة هامة في تكريس مفهوم الأمن عبر الموضوعات العقدية، التي أصبحت بوتقة صهرت مشاعر أفراد المجتمع، رغم تنوعهم، وجمعتهم على هدف واحد. كما نهى السنوسي عن التعرض لهذه الموضوعات بهدف بناء جسور تواصل مع غيرها من المعتقدات، مستندا إلى القيم المشتركة التي تتيح للعقيدة الإسلامية أن تكون محل حوار ومناقشة بطريقة حسنة، بغية الوصول إلى الحق. وفي نفس السياق، شرع السنوسي في الجهاد ضد من يعترضون حرية المعتقد، انطلاقا من المسؤولية الدينية التي تقع على عاتقه.

**2-1- تبذ التقليد والجمود الفكري**

إن من الأمور التي جاهد من أجلها السنوسي، والتي بفضلها نال لقب "مجدد القرن التاسع الهجري" (الخامس عشر الميلادي)، هي محاربته للتقليد والاكتفاء بالسماع دون الفهم. فقد كان يسعى جاهدا إلى مكافحة الجمود الفكري والتقليد الأعمى، لا سيما في مجال العقيدة، بهدف تحقيق اليقين والاطمئنان الفكري. وقد تجلى هذا في أول مؤلف له في مجال العقيدة، الذي حمل عنوان "عقيدة أهل التوحيد المخرجة بعون الله (تعالى) من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة بفضل الله (تعالى) أنف كلمبتدع عنيد". ثم قام بشرح هذا الكتاب في مؤلف آخر سماه "عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة التوحيد"، وبعد ذلك اختصر شرحه، وأتمه في يوم عرفة من سنة 875هـ / 1470م.[1].

وقد وردت للسنوسي العديد من الردود على الذين يجيزون التقليد، حيث كان يدحض آراءهم بالحجة والبرهان ويدفع الشبهات التي يثيرونها. وفي هذا السياق، قال السنوسي: "أما ما استند إليه القائلون بصحة

---

1 - حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، 2/ 1157

التقليد من اكتفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم بإجراء أحكام الإسلام ورفع القتال بمجرد النطق بكلمتي الإيمان، دون بحث منهم في السرائر، فلا دليل فيه؛ لأن ذلك إنما كان من باب إجراء الأحكام على المظان والظواهر، ولا علاقة لذلك بكلامنا".[1] .

لقد كان السنوسي في معظم مؤلفاته يسعى إلى ربط الناس بالقرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. لم يكن يقبل قول أي شخص دون أن يكون مدعوما بالحجة والبرهان، بل في كثير من الأحيان كان يستدل بآراء المخالفين لمذهبه إذا كان يرى أنهم على حق، وكان لا يتردد في الرد على كبار علماء المذهب الأشعري إذا لزم الأمر. بل وكان يناقش أيضا علماء الأشاعرة المتأخرين الذين تأثروا بالفلسفة مثل الرازي (ت 606هـ) والبيضاوي (ت 719هـ) وغيرهما. لا شك أن هدفه كان تصفية الأشعرية مما علق بها من أفكار خاطئة.

وفي المجمل، كان السنوسي يبذل جهده في محاربة التقليد الفكري والجمود، حتى في إطار التوجه العقدي الأشعري الذي ينتمي إليه. لم يكن يكتفي بعرض مذهبه كما هو أو ترديده دون فكر أو معرفة، بل كان يحرص على تصويب الأخطاء في اجتهادات بعض أتباع المذهب إن لزم الأمر، سعيا وراء العقلانية والطمأنينة الفكرية.

**2-2- إعطاء الصبغة الصوفية لعلم الكلام وتقريبه للعوام**

من الصعب الجمع بين علم التصوف الذي يعتمد على الذوق والروحانيات والغيبيات، وعلم الكلام والمنطق اللذين يقومان على الأمور المحسوسة والمفهومة بالعقل فقط. فمحاولة الجمع بين الروح والعقل، وبين المشاهد والغيب، وبين الملموس والمحسوس، تشكل تحديا كبيرا. والأصعب من ذلك هو محاولة إيصال هذه المفاهيم إلى عامة الناس. لكن الإمام السنوسي نجح إلى حد كبير في توحيد ما يبدو متناقضا، وأعاد تقريبه إلى فهم عامة المسلمين. بل عمل على تبسيط هذا العلم لهم، حيث درس عقائده لجميع فئات المجتمع، سواء الصغار والكبار، الرجال والنساء، كما خصص مؤلفات خاصة للأطفال والنساء مثل "عقيدة السنوسي السادسة" و"أم البراهين". تعتبر مؤلفات السنوسي في العقيدة مصدرا محليا لدراسة علم الكلام، وقد تم طبعها بصبغة صوفية. وعلى الرغم من جمعه بين علمي الظاهر والباطن، فقد مال شارحو مؤلفاته ودارسوها في زمنه إلى التركيز على علوم الباطن، متأثرين بروح العصر.[2]

---

1 - محمد بن يوسف السنوسي: عمدة التوفيق والتسديد في شرح عقيدة التوحيد الكبرى ، ص 15

2 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج2، ص 93-42.

يذكر السعيد عليوان سبب انتشار مؤلفات السنوسي العقدية بين المتصوفة قائلا: وهذا في تصورنا ما جعل أهل التصوف يتبنون مؤلفاته العقدية عامة وأم البراهين خاصة، ويتكلفون بنشرها وتدريسها وهكذا حول المتصوفة من كونهم سببا في تخلف الدراسات الكلامية والمنطقية لقيامه على العقل الذي يحاربونه بادعائهم المعرفة الذوقية إلى ناشرين لها ومستقرين على قاعدة في عقد الأشعري وفقه مالك وطريقة الجنيد السالك[1]

ومن الأمور التي جعلت المتصوفة يتهافتون على كتب الإمام السنوسي، أنه كان عندما يرى مخالفة لهم لا يواجههم بالسب والشتم والتبديع بل يقابل ذلك بالتوجيه والإرشاد حتى يشعرهم بالطمأنينة. وبيان ما يجوز وما لا يجوز بالرفق والحسنى والحجة والبرهان فها هو يرد على محمد بن مرزوق في عدم التزود في السفر بالطعام والشراب لما قال وهذا يرد قول الصوفية إن من أخلص لله عز وجل أنزل عليه الطعام والشراب، والنبي صلى الله عليه وسلم أولى بهذه المنزلة ولكنه تزود"، وبعد كلام طويل يقول الإمام السنوسي: "إذ لا ريب أن الصوفية رضي الله عنهم مقرونون بإباحة حمل الزاد وإنما القوم مخبرون بما أنعم الله عليه من شريف الأحوال، وما أوصلهم إليه حسن الإتباع للنبي صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال" [2].

إن المتأمل للجواب البديع من الإمام السنوسي هنا يدرك كيف ملك السنوسي قلوب المتصوفة؛ فهو من جهة خالف كلام محمد بن مرزوق، ولكن وجه كلامه، ومن جهة أخرى صحح معتقد الصوفية الذين لا يبيحون الزاد للمسافر فقال: إن الصوفية مقرونون بإباحة حمل الزاد فألزمهم بقول لم يقولوه في معرض مدح ودفاع عنهم: انظر كيف نصح الجميع، وكسب ود الجميع ورضاهم.
الحقيقة أننا عندما ندرس علم الكلام عند السنوسي نجده متوافقا مع هذا، إذ لا نجد أثر للوثنية اليونانية، ولا لانحرافات المنحرفين من الفلاسفة في علم الكلام الذي أبدع فيه أيما إبداع وهذا ما جعل كتبه تستحوذ على العالم الإسلامي ما يزيد على خمسة قرون بل يعود الفضل في الحفاظ على العقيدة الأشعرية في الجزائر خاصة رغم ما تعرضت له من ظلم الاستعمار وحملات التبشير والتنصير، وإذا كان السنوسي قد عمل على أسلمة المنطق متأثرا بالغزالي فقد ربط المنطق بمقاصد الشريعة وقربه للعامة ليكون في متناول الجميع بعد

---

[1] - عليوان اسعيد محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطق ، ص 218

[2] - محمد بن يوسف السنوسي، مكمل إكمال الإكمال، ج1 ، ص 209.

ما كان حكرا على الخواص من العلماء،[1] وجعل شرحه على مختصره في علم المنطق يهدف إلى تحقيق هذا الغرض فقد ذيل خطبة الشرح بقوله: "والله أسأل أن ينفع به وبأصله الغبي والذكي، والضعيف والقوي"[2] لقد مكنت تصانيف الإمام السنوسي في المنطق وعلم الكلام، إضافة إلى التصوف، من إبداعه في الجمع بين هذه العلوم، حيث سعى إلى رد كل ما لا يتوافق مع عقيدته، مثل التصوف الفلسفي ومنطق أرسطو والفلسفة اليونانية. فلم يكن هدفه إلا انتقاء ما يخدم عقيدة الأشعرية، والعمل على تبسيطها وتقريبها إلى الناس على اختلاف عقولهم وفهومهم وأعمارهم. وبهذا الشكل، أصبح العامي قادرا على قراءة علم الكلام والمنطق دون أن يشعر بالنفور منها. وبالتالي، كان السنوسي لا يقتصر على تبسيط هذه العلوم فحسب، بل كان يعمل على تحقيق أمن فكري لدى المجتمع، حيث يجد الأفراد في هذه العلوم ما يعزز إيمانهم ويرتقي بفهمهم العقدي دون تعقيد أو تشويش.

**2-3- شرح كلمة التوحيد**

إن من أهم الأمور العقدية التي أثارت جدلا واسعا بين الأشاعرة وغيرهم من المذاهب العقدية الأخرى تفسير كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله"؛ حيث كانت بصمة الإمام السنوسي حاضرة في هذا الأمر فقد ذكر ضمن كتابه أم البراهين أن الحكم العقلي ينحصر في ثلاثة أقسام الوجوب والاستحالة والجواز فيجمع معاني العقائد كلها قول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله إذ معنى الألوهية استغناء الإله عن كل ما سواه. وافتقار كل ما عداه إليه، ثم قال: فقد بان لي تضمن قول لا إله إلا الله للأقسام الثلاثة التي يجب على المكلف معرفتها في حق مولانا عزّ وجلّ، وهي ما يجب على حقه تعالى، وما يستحيل وما يجوز"[3] فقول الإمام السنوسي فقد بان لي توحي وتظهر هذه العبارة أن الأمر فيه اجتهاد منه، وليس قول كل الأشاعرة. وهذا ما ذكره البغدادي (ت 1037هـ / 1627م) بقوله: واختلف أصحابنا في معنى الإله فمنهم من قال إنه مشتق من الألهية وهي قدرته على اختراع الأعيان وهو اختيار أبي الحسن الأشعري[4] لقد أحدث شيخ الموحدين الإمام السنوسي ضجة علمية في تفسيره لا إله إلا الله حتى أصبح تفسير السنوسي هو المعتمد عند كثير من الأشاعرة المتأخرين.

---

1 - خالد الزهري، المصادر المغربية للعقيدة الأشعرية ، 289/1.

2 نفسه، 63/1.

3 -

4 - السنوسي، أم البراهين، ص 27-32

وتتجلى أهمية كلمة "لا إله إلا الله" في أن الذاكر يمكنه الوصول إلى المقامات الرفيعة والمواهب اللدنية والأسرار الربانية إذا أكثر من ترديدها، بشرط أن يتقن لفظها ليجنب اللحن فيها، وأن يعرف معناها حتى وإن كان بشكل عام. يعتبر ذكرها أمرا مستحبا ومؤكدا، ولكنه ليس واجبا وفقا للاتفاق. فعند الفقهاء، يستحب الإكثار من ذكرها ثلاثمائة مرة في اليوم والليلة، بينما يرى الصوفية أن عددها يصل إلى اثني عشر ألفا، وقيل في هذا الصدد: "اعلم أنه لو لم يكن في بيان فضلها سوى أنها علم من أعلام الإيمان في الشريعة، الذي يعصم الدماء والأموال، وأن الإيمان يكمل بالكفر إذا لم يُنطق بها، لكان ذلك كافيا للعقلاء". "[1]

وفي اعتقادي، إن الشيخ السنوسي عمل على توضيح التوحيد بأسلوب مبسط يتناسب مع مختلف فئات المجتمع، من كبار وصغار، رجال ونساء، وعلماء وعوام. وكان يهدف من ذلك إلى توفير فهم دقيق ومتين لمفهوم التوحيد، الذي يعد أساس العقيدة الإسلامية. وقد قام بذلك من خلال تبسيط المفاهيم الدينية وتقديمها بطريقة عقلية ومنطقية، بحيث يمكن للمسلمين، في جميع مستوياتهم الفكرية، استيعابها.

من خلال هذا التوضيح، كان السنوسي يسعى إلى حماية المسلمين من الشبهات الفكرية التي قد تطرأ بسبب الفلسفات المختلفة أو الأفكار التي قد تروج بين الناس. فبفهمهم الصحيح للتوحيد، يصبح لديهم يقين في عقيدتهم، مما يمنحهم استقرارا فكريا ويقيهم من الانحرافات أو التشويشات العقائدية.

علاوة على ذلك، كان السنوسي يقاوم الأفكار الفلسفية التي قد تضر بالتوحيد أو تبتعد عنه، مثل التأثر بالفلسفات اليونانية أو التصوف الفلسفي، ويعمل على تنقية العقيدة من هذه التأثيرات، مما يعزز أمان المسلمين الفكري ويسهم في تحصينهم ضد الأفكار المخالفة.

باختصار، كان الشيخ السنوسي من خلال تفصيله في التوحيد، يسعى إلى تحقيق الأمن الفكري للمسلمين، ليحميهم من التشتت أو التحريف العقدي، ويؤكد لهم أن أساس العقيدة الإسلامية هو التوحيد النقي الذي لا تداخل فيه.

### 3- آليات الأمن في المنظومة السنوسية

#### 3-1- التيسير والتقريب

استمد الشيخ السنوسي مادته العقدية من أساتذته وشيوخه من المشرق والمغرب الإسلامي، وفقا لمتطلبات عصره، مع التركيز على ما هو ضروري وما يحقق الأمان الفكري دون التسبب في التشويش. ففي شرحه لعلم

---

1 - المصدر السابق، ص33.

المنطق، يقول في مختصره: "هذه كلمات مختصرة تتضمن ما يحتاجه علم المنطق لتصحيح التصورات والتصديقات، مع ترك ما يشوش الفكر ويقل نفعه، ويكاد يكون نادر الاستخدام من القواعد والتفريعات". [1]، فقد كان يوازن في عرضه المواضع علم التوحيد بناءا على ما كان عليه هذا العلم وما يتناسب مع عصره والمستوى العلمي والفكري لمجتمعه، فيقتصر على الأساسي منها، فقلّص من مواضيع علم الكلام في الذات الإلهية والنبوة كموضوع إثبات الأحوال والرد عليها وعدم قبول الله للأعراض.. إلخ، كما قام بإقصاء مواضيع لم تعد تطرح في سياق علم الاعتقاد كموضوع الإمامة، والذي غاب طرحه لها في جميع مؤلفاته وكذا موضوع الأسماء والأحكام، فتجد خلاصة عقائد الشيخ السنوسي تتمثل في كلمة الشهادة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، حيث تضم في مضمونها ما يجب لله، وما يجوز عليه، وما يستحيل، بالإضافة إلى ما يجب للرسل وما يستحيل عليهم. في نظره، يكفي للمرء أن يتأمل في معاني هذه الجملة ويفهمها حتى يتوصل إلى فهم العقائد الأساسية. ويعزز هذا الفهم قوله في شرحه لكتاب "أم البراهين"، حيث يذكر أن جميع معاني هذه العقائد متجمعة في قول "لا إله إلا الله محمد رسول الله."[2] كما سبق ذكره.

### 3-2- التنويع في طرائق التأليف

انطلق الإمام السنوسي في تدريس العقيدة من المختصرات والعقائد البسيطة التي يمكن لجميع فئات المجتمع فهمها. وكانت هذه المختصرات تشمل أصول العقائد التي لا يجوز لأحد الجهل بها، وقد استند في ذلك إلى الأدلة والبرهان القطعي المبسط الذي يناسب كل من له بصيرة صحيحة. كما ألف شروحا موسعة لهذه العقائد، مراعيا فيها مستوى المخاطبين، بهدف تنمية ملكة التفكير والاستدلال لديهم، وتشجيعهم على عدم التقليد. وقد قسم السنوسي الفهم إلى ثلاثة مستويات: الخواص، والعوام، وما بينهما. فالخواص هم أصحاب القدرات الذهنية العالية الذين يحتاجون إلى مزيد من التفصيل والدقة، وهم مطالبون بالأدلة التفصيلية، بينما العوام مثل الصبيان والنساء فهم يحتاجون إلى أدلة عامة وموجزة.[3] ، من ثم إذن، فإن الانتقال من الدليل التفصيلي إلى الدليل الجملي يعد نوعا من مراعاة الفروق الفردية في مستوى الاستيعاب المعرفي، حيث يرى الإمام السنوسي أن العقل، الذي هو مناط التكليف، يمكن أن يستوعب ما كُلف به من خلال دعوة القرآن الكريم للتفكر والتأمل. كما يقول: "... فأقرب شيء يخرجك عن التقليد بعون الله أن تنظر إلى أقرب الأشياء إليك، وهي نفسك. قال الله تعالى: {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}، فتدرك علم الضرورة

---

1 - السعيد عليوان: المصدر السابق، ص123.

2 - يوسف احنانة، تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص187-188..

3 - محمد بن يوسف السنوسي، شرح العقيدة الكبرى، ص 14-15

أنك لم تكن ثم كنت.." [1]بذلك، يقتصر على العلم الضروري في النظر العقلي للعوام، ويعزو غموض ذلك إلى تفاوت قدرات الفهم. فمن المعروف أن أفق التفكير العقلي للأشخاص العاديين يختلف عن أفق العلماء، فالأول سطحي بينما الثاني عميق.

كما نجده يحمل كلام الغزالي – لا تحرك عقائد العوام ويتركون على ما هم عليه - بمنهج يراعي الامن النفسي والفكري فيقول : ".... مالم يظهر المنكر في عقائدهم كزماننا هذا فيجب تغيير المنكر والتلطف في تعليم الحق بها تسعه عقولهم وقد جعل الله تعالى في الألفاظ والأدلة سمة، فكل يخاطب على قدر فهمه..."[2] له ولعل هذه أهم ميزة ساعدت على انتشار عقائده انتشارا واسعا في العالم الإسلامي وهيمنتها على ملك التعليم في الغرب الإسلامي خاصة فلقيت قبولا واسعا لدى العامة من المؤمنين والخاصة من أهل العلم الذين هموا بشرحها ووضع الحواشي عليها فهي لا تحصى كثرة، كما كانت المرجع المعوّل عليه في النوازل العقدية والمناقشات الكلامية في التاريخ العقدي للغرب الإسلامي.
يبدو أن الإمام السنوسي في موقفه هذا من الاختيارات العقدية كان يهدف إلى إعادة الاعتبار لعلم التوحيد والنهوض بأمته من حالة الجمود الفكري التي سادت عصره مقارنة بالعصر الذي نشأ فيه إذ كان يسعى لرفع مستوى التفكير العقلي لدى الناس ودفعهم إلى التفاعل مع مجالس العلم، مؤكدا أن الدين قائم على العلم والمعرفة، وبهذا أراد أن يبقي المجتمع مفتوحا على التطورات العالمية في مختلف المجالات. ويشهد له على ذلك تحفيزه المستمر على العلم والتعليم، واستشهاده بالقرآن الكريم والسنة النبوية وأفعال السلف الصالح. كما يقول: "... وما جرت به العادة وأمر به الشرع هو تحصيل العلوم من طرقها المألوفة، أي الاجتهاد في النظر والتعلم من العلماء، والالتزام بتعب الدراسة من أجل معالجة الأزمة الكبرى التي أصابت عصره، كما وصفها السنوسي في شرحه للصغرى". وأضاف أن هذه الأزمة كانت ناتجة عن أمرين: الأول معرفي وهو الجهل والتشويش العقدي الذي يفتقد الأمن الفكري، والآخر أخلاقي اجتماعي، وهو الشر الذي يفتقر إلى قيم التعايش والتسامح ونبذ العنف.

.

**3-3- المناظرات والمناقشات العقدية**

خاض الإمام السنوسي العديد من المناظرات العقدية القوية مع معاصريه، أبرزها مع ابن زكري (ت: 899هـ - 1494م) في مناظرة حول الإيمان المقلد ورؤية الله للمعدوم. ومن أبرز ما كشفته هاتين المناظرتين:

- طموح السنوسي إلى التجديد في الفكر العقدي.

---

1 - نفس المصدر، ص45-46.

2 - محمد بن يوسف السنوسي، شرح العقيدة الكبرى، ص16

- انتعاش المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، حيث أصبح العديد من معارضي السنوسي يشهرون النظر الدفاعي عن الأصول السلفية.

كما أظهرت هذه المناظرات إجماع متكلمي العصر على نقد طريقة المتأخرين من علماء المذهب الأشعري مثل الرازي (ت: 606هـ - 1210م) والبيضاوي (ت: 685هـ - 1292م)، الذين كانوا يدعون للعودة إلى أصول المذهب كما وضعها أبو الحسن الأشعري. وقد تمثل ذلك في المنافسة القوية بين الإمامين ابن زكري والسنوسي على ريادة علم العقائد في عصرهم.

من خلال منظومته العقدية، عمل محمد بن يوسف السنوسي على توحيد مصادر تلقي العقيدة الأشعرية وتعزيز مكانتها في نفوس أفراد المجتمع، ليجمعهم حول موضوع واحد من شأنه أن يمنحهم الأمان والطمأنينة واليقين. وتهدف هذه الجهود إلى تحقيق أهداف نبيلة في الحياة الدنيا والآخرة.

عمل محمد بن يوسف السنوسي من خلال منظومته العقدية على توحيد مصادر تلقي العقيدة الأشعرية، وإعلائها في نفوس أفراد المجتمع، ومن ثم توحيد موضوع التلقي الذي يعد البوتقة التي تنصهر فيها مشاعر الأفراد بأمن وطمأنينة ويقين؛ لتحقيق أهدافها النبيلة التي تعد طريق النجاة في الدنيا والآخرة.

**الخاتمة**

في ختام هذا البحث، يظهر جليا أن فكر الإمام السنوسي يمثل محورية كبيرة في بناء المنظومة العقدية التي تضمن الأمن الفكري والروحي للمجتمع. لقد سعى السنوسي من خلال مؤلفاته ومنهجه العلمي إلى تحصين عقيدة التوحيد وإعادة بناء الأمن الفكري في ظل تحديات العصر الذي عاش فيه، بعيدا عن التقليد والجمود الفكري. من خلال تبسيط العلوم العقدية والمعرفية وتقريبها إلى فئات المجتمع المختلفة، عمل على تعزيز اليقين الديني لدى الناس وحمايتهم من الشبهات الفكرية.

من خلال المناظرات التي خاضها، يظهر مدى طموحه في التجديد العقدي، وكذلك حرصه على تعزيز الأمن الفكري في مواجهة الاختلافات المذهبية والفلسفية. وقد سعى إلى توحيد مفهوم الأمن من خلال عقيدته الأشعرية، مما ساهم في تقوية الأواصر العقدية بين أفراد المجتمع الإسلامي في الغرب، من خلال تعزيز ثقافة التعلم والتفكير العقلي المستند إلى الأدلة والبراهين.

كما تجلى اهتمامه الكبير بمنهج التيسير والتقريب، حيث قسم العقيدة إلى مستويات فكرية تتناسب مع قدرات مختلف الأفراد، مما يعكس حسه العالي بالمسؤولية تجاه المجتمع وحرصه على نشر العلم والمعرفة

بشكل يسهم في تحقيق الأمن والاستقرار الفكري. فالأمن لم يكن مجرد غياب الخوف، بل كان ضمانا لسلامة الفكر والمعتقدات، وهو ما سعى الإمام السنوسي لتحقيقه من خلال منظومته المعرفية المتكاملة.

و لا يمكننا إلا أن نؤكد أن فكر الإمام السنوسي كان نقطة تحول مهمة في تاريخ الفكر الإسلامي في الغرب، حيث أن عقيدته أسهمت في الحفاظ على وحدة المجتمع العقدية وتعزيز الأمان الفكري، مما جعلها مرجعية هامة للأجيال التالية في مواجهة التحديات الفكرية المختلفة، وبذلك تحول الأمن في فكر السنوسي من مجرد إجراء دفاعي إلى منهج إيجابي في إنتاج المعرفة وتجديدها. فهو أداة للتنوير وصناعة الوعي الحضاري، مما يعكس عمق الفكر الإسلامي في معالجة قضايا المعرفة وحمايتها ضمن سياقاتها الاجتماعية والتاريخية.

**المصادروالمراجع:**

**أولا: القرآن الكريم**


- أبو الحسين أحمد بن فارس: معجم مقايس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ط،1 منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م،
- ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م .
- جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، ط،1 دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م،
- حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، ط11، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.
- خالد الزهري، المصادر المغربية للعقيدة الأشعرية ببليوغرافيا ودراسة ببليومترية، ط1، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط. 2017م.
- خضير عباس جري وآخرون: الأمن الفكري - مفاهيم نظرية ودراسات تطبيقية، ط2، مؤسسة الصادق الثقافية، الأردن، 2022م.
- السنوسي، أم البراهين تحقيق خالد الزهري، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009م.
- عليوان اسعيد، محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطق دراسة وتحقيق، دار الكتاب الثقافي الجزائر. 1987م.
- محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة، ط،1 دار إحياء التراث العربي - بيروت – 2001،
- محمد بن يوسف السنوسي: عمدة التوفيق والتسديد في شرح عقيدة التوحيد الكبرى مطبعة جريدة الإسلام، مصر، 1316هـ،
- محمد بن يوسف السنوسي، مكمل إكمال الإكمال، دار الكتب العلمية، بيروت، 1328هـ،

- يوسف حنانة، تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، مطبعة اليديني، 1424/2003م .